المُوضِح عن جهة

إعجــاز القــرآن

و هو الكتاب المعروف

بـ«الصَّرْفة»

تأليف

الشريف المرتضىٰ

أبي القاسم، عليّ بن الحسين بن موسى الموسويّ البغداديّ

(٣٥٥-٤٣٦ هـ)

تحقيق

محمّد رضا الأنصاريّ القُمّيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الهدىٰ، علي بن حسين، ٣٥٥ - ٤٣٦ ق .
الموضح عن جهة إعجاز القرآن و هو الكتاب المعروف بـ «الصـرفة» / تأليـف الشـريف المـرتضىٰ أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي؛ تحقيق محمّد رضا الأنصاريّ القميّ. ـ مشـهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٨٢ = ١٤٢٤ هـ.
٣٤٤ ص.: نمونه. ISBN 964-444-628-3
عربى.
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه ص. [٣٢٣] ـ ٣٢٤؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. قرآن ـ ـ اعجاز. ٢. قرآن ـ ـ علوم قرآني. الف. انصارى قمى، محمّد رضا. ١٣٣٧ - مصحح. ب. بنياد پژوهشهاى اسلامى. ج. عنوان. د. عنوان. الصرفة.
BP ٨٦ / ٨م٧٥ع ٢٩٧/١٥٨
كتابخانه ملّى ايران ٨٢-٢٠١٩٧م

الموضح عن جهة إعجاز القرآن

الشريف المرتضىٰ

تحقيق: محمّد رضا الأنصاريّ

تصميم الغلاف: سيد مجيد ولى الهى
الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ. / ١٣٨٢ش
١٥٠٠ نسخة
الثمن ١٨٠٠٠ ريال
الطباعة: مؤسّسة الطبع و النشر التابعة للآستانة الرّضويّة المقدّسة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مراكز التوزيع
مجمع البحوث الإسلاميّة ، الهاتف والفاكس (مشهد) ٢٢٣٠٨٠٣ ، ص. ب ٣٦٦ ـ ٩١٧٣٥
شركة به‌نشر، (مشهد) الهاتف ٧ ـ ٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠
Web Site: www.islamic-rf.org E-mail: info@islamic-rf.org

المقدّمة

منذ بدء نزول آيات القرآن على النبيّ ﷺ فى جزيرة العرب، أدرك هـؤلاء العرب ـ و فنّ القول الأدبيّ أوضح مزاياهم ـ أنّ القرآن يغاير مألوف القول و متداول الكلام، فلا نظير له في الشعر الذي هم ألصق الناس به و أعرفهم بدقائقه، و لا هو من نمط النثر المعروف و الخطابة الشائعة.

و كثيراً ما كان سماع آيات من القرآن من لدن عرب الجـاهليّة مـحرِّكاً فـي دواخلهم نقطةً خفيّة تُوقظهم على الإحساس بوجود «سـرّ» خـاصّ فـي التـعبير القرآنيّ هو الذي يشدّهم اليه، ليكون ذلك تمهيداً للإقبال على مضمونه و الانفتاح علىٰ رسالة القرآن. و كان أهل الجاهليّة يدركون، أمام النصّ القرآنيّ الآسر، أنّـهم في مقابل كلمات و عبارات فيها من الهيمنة و السطوة و الجذب الباطنيّ ما جعلهم طائفتين اثنتين: طائفة سلّمت أنّ في القرآن روحاً إلهيّة غيبيّة يخلو منها تماماً قول البشر، فكان أن آمنت بالنبيّ و رسالته. و طائفة أخرىٰ أحسّت أنّ في القرآن شيئاً غريباً يهجم على القلب و يـهيمن ـ أو يكـاد يـهيمن ـ عـليه، بَـيد أنّ خـلفيّاتها الاجتماعيّة أو الاعتقاديّة الموروثة كانت تسوق أتباع هذه الطائفة الى الفرار مـن التسليم للقرآن و من الإقرار بتفرّده و تميّزه الصادر من الغيب الإلهيّ، فكان هؤلاء

يلجؤون الى المغالطة فينعتون القرآن بالسِّحر؛ بسبب هذه السلطة الداخليّة التي يجدونها في أنفسهم، أو يصفونه بالكهانة أحياناً، و بالشعر أخرىٰ. و كانوا لا يفتأون يمنعون الذين لم يكونوا قد سمعوا القرآن من سماعه؛ لئلّا يغلب عليهم و يفضي بهم الى الإيمان به[١].

و أراد الله تعالىٰ أن يغلق عليهم سبل الهروب من أمام حقيقة القرآن الغالبة، و أن يجرّدهم من الذرائع التي تصدّهم عن الإيمان بالقرآن و رسالة النبيّ ﷺ و أن يكشف عن تزويرهم و تمويههم، فكان أن واجههم بأسلوبٍ صاعق حشرهم في زاوية ضيّقه، هو أسلوب «التحدّي» الذي عجزوا عن جوابه و الثبات أمامه.

لقد تحدّاهم الله سبحانه في خاصّة قدراتهم البيانيّة التي هم أقدر الناس عليها، ليثبت لهم إلهيّة القرآن، و ليفضح في الوقت نفسه مفترياتهم و أقاويلهم. و هذا التحدّي الذي حمله القرآن نفسه قد تكرّر مرّات عديدة في صيغ شتّىٰ. و هو في كلّها قد تعمّد مغالبتهم جميعاً، مصرّحاً بعجزهم ـ و لو كانوا مجتمعين متآزرين ـ عن مماثلته كلّه، أو مماثلة عشر سور منه، أو حتّىٰ سورة واحدة من سوره مهما قَصُرت... ليخلص الىٰ هذه الغاية، و هي: ﴿ فإلَّم يَستَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَ أنْ لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ فَهَلْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٢]؟! و منذ البدء كان القرآن قد أعلن عن النتيجة و كشف كشفاً مستقبليّاً عن عجز العرب عن معارضته: ﴿ وَ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا

---

(١) حكى القرآن عن أمثال هؤلاء أنّ بعضهم كان يقول لبعض: «لا تَسمَعوا لهذا القرآن و الغَوا فيه لعلّكم تَغلِبون» فصّلت: ٢٦. و حكىٰ أيضاً أنّهم كانوا يهوّنون من شأن القرآن و من مزاياه المتفرّدة، فكانوا يشيعون أنّهم ـ أو صفوة بلغائهم في الأقلّ ـ قادرون أن يقولوا مثل القرآن: فلا مزيّة له إذاً و لا هو دليل نبوّة «و قالوا قد سَمِعنا لو نشاءُ لَقُلنا مِثل هذا»! الأنفال: ٣١.

(٢) هود: ١٤.

عَلىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرينَ﴾ [1].

و كان في هذا التحدّي و في عجزهم أمام هذا التحدّي حجّة بيّنة بأنّ القرآن من عندالله أوحاه الىٰ عبده و رسوله. و بغياب المحاولات الجادّة لمعارضة القرآن من قبل أهل الفصاحة و التعبير الأدبيّ الرفيع من خلاصات العرب، سقطت الافتراءات و التخرّصات بشأن القرآن، و ثبتت غلبته في هذا التحدّي علىٰ مدى الزمان.

* * *

و انطلقت بعدئذ رسالة الاسلام، فاتّسع نطاقها ليضمّ جزيرة العرب كلّها، ثمّ ليمتدّ خارج الجزيرة الىٰ أقاليم واسعة و بلدان مترامية في الشرق و الغرب. بَيد أنّ جوهر الإعجاز القرآنيّ ظلّ سرّاً محوريّاً دارت حوله الأبحاث، و تعدّدت بشأنه الدراسات. و قد تركّزت جهود الباحثين و المتخصّصين في محاولات للاقتراب من هذا السرّ الإعجازيّ في فنّ القول القرآنيّ: في بلاغته و فصاحته و قدرته البيانيّة الأخّاذة. و من هنا شهدت القرون الإسلاميّة الأولىٰ نتاجات أدبيّة واسعة تبحث في القرآن من حيث الأسلوب و الألفاظ و الجمال البيانيّ، في محاولة للتعرّف علىٰ ذلكم السرّ المعجز، و للمقارنة بين تألّق التعبير القرآنيّ و بين كلام البلغاء و الفصحاء. و أفضىٰ بهم هذا كلّه الى العناية الفائقة بعلوم البلاغة التي تختصّ بدراسة الأسلوب و الصورة و اللفظة المفردة، حتّىٰ حاز الاهتمام بالبلاغة المقام الأوّل من بين سائر العلوم. و قد عبّر أبو هلال العسكريّ عن هذه الحالة بقوله: «إنّ أحقّ

---

(١) البقرة: ٢٣-٢٤.

العلوم بالتعلّم و أولاها بالتحفّظ ـ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه ـ علم البلاغة و معرفة الفصاحة الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالىٰ. و قد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة و أخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف و براعة التركيب، و ما شحنه به من الإيجاز البديع و الاختصار اللطيف، و ضمّنه من الحلاوة، و جلّله من رونق الطلاوة، مع سهولة كَلِمه و جزالتها و عذوبتها و سلاستها...»[1].

و هكذا غدت الدراسات البلاغيّة مقدّمة لدراسة القرآن و تفسيره، و ضرورة لتذوّق و إدراك البيان القرآنيّ، حتّىٰ أنّك تجد من العلماء من كان لا يبدأ بتدريس تلاميذه كتب التفسير إلّا بعد أن يدرس هؤلاء التلاميذ فنون البلاغة. و قد ألّف يحيى بن حمزة العلويّ كتابه (الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز) ليكون تمهيداً لتدريسه تفسيرَ الكشّاف للزمخشريّ الذي «لا سبيل الى الاطّلاع علىٰ حقائق الإعجاز إلّا بإدراكه و الوقوف علىٰ أسراره و أغواره. و من أجل هذا الوجه كان متميّزاً عن سائر التفاسير»[2].

و قاد الإيمان بأنّ سرّ إعجاز القرآن في فصاحته و بلاغته الىٰ إيجاد حركة تأليف كبيرة في لغة القرآن و فصاحته. و اهتدىٰ من المؤلّفين من اهتدىٰ الىٰ أنّ الأعجاز كامن في «النَّظْم» القرآنيّ، و في طريقة صياغة العبارة و في فصاحة الألفاظ كذلك، أي في القول القرآنيّ: ألفاظاً مفردة و تراكيب، و فيما تتضمّنه من المعاني الصحيحة العالية. و من هنا نشأت «نظريّة النَّظم» في دراسات الإعجاز بوصفها بَلْوَرة راقية للدراسات البيانيّة للقرآن.

---

(١) كتاب الصناعتين ١.

(٢) الطراز ١ / ٥.

و قد ظهر مصطلح «النظم» منذ عصر مبكّر، فاستُعمل استعمالاً خاصّاً يرتبط بأسلوب القرآن، كما استُعمل احياناً اصطلاحاً بلاغيّاً عامّاً. و لعلّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) من أقدم مُستخدِمي مصطلح النظم في أساليب التعبير حينما تحدّث عن معنى النظم و ائتلاف الكلام، و ما يُفضي الىٰ صحّته و فساده و حسنه و قبحه[١].

و ذكر عمرو بن كلثوم العَتّابيّ (ت ٢٢٠هـ) أنّ الألفاظ للمعاني بمنزلة الأجساد للأرواح، فينبغي أن توضع مواضعها، و إلّا تغيّر المعنىٰ و فسد النظم[٢].

و في سياق الأسلوب القرآنيّ آمن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أنّ القرآن معجز بنظمه البديع الذي لا يقدر علىٰ مثله العباد[٣].

و استمرّ مصطلح النظم متداولاً في لغة أدباء و علماء آخرين، من مثل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)[٤]، و إبراهيم بن المدبّر (ت ٢٧٩هـ)[٥]، و المبرّد (ت ٢٨٥هـ) الذي كانت البلاغة تعني عنده حسن النظم[٦]، و الطبريّ (ت ٣١٠هـ)[٧]، و أبي سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨هـ)[٨]، و عليّ بن عيسى الرمّانيّ (ت ٣٨٦هـ)[٩]، و الخطّابيّ (ت ٣٨٨هـ) الذي تلخّصت رؤيته في إعجاز القرآن بأنّه «إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمّناً أصحّ المعاني»[١٠]، و أبو هلال العسكريّ (المتوفّىٰ آخر القرن الرابع الهجريّ)[١١]، و الباقلانيّ (ت ٤٠٣هـ) في مثل

---

(١) الكتاب ١ / ٨.
(٢) كتاب الصناعتين ١٦٧.
(٣) الحيوان ٤ / ٩٠.
(٤) تأويل مشكل القرآن ٢٩٩.
(٥) الرسالة العذراء ١٧.
(٦) البلاغة للمبرّد ٥٩.
(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٦٥.
(٨) الإمتاع و المؤانسة ١ / ١٠٧.
(٩) النكت في إعجاز القرآن ١٠٧.
(١٠) بيان إعجاز القرآن ٢٧.
(١١) كتاب الصناعتين ١٦٧.

قوله: «فأمّا شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذىٰ عليه و لا إمام يُقتدىٰ به، و لا يصحّ وقوع مثله»[١]، و قوله: «و قد تأمّلنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها علىٰ حدّ واحد من حسن النظم و بديع التأليف و الرصف، لاتفاوت فيه و لاانحطاط عن المنزلة العليا و لاإسفاف فيه الى الرتبة الدنيا»[٢]. و صرّح بأنّ الإعجاز ليس «في نفس الحروف، و إنّما هو في نظمها و إحكامها و رصفها»[٣].

و عُني القاضي عبدالجبّار (ت ٤١٥هـ) عناية خاصّة بالنظم[٤]، حتّىٰ إذا جاء عبدالقاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ) كان أوسعَ من كتب في الموضوع من خلال كتابه (دلائل الإعجاز). و قد أعانه ما كان يتمتّع به من ذوق و سلامة طبع علىٰ تجلية مفهوم النظم تجليةً تطبيقيّة لآيات كثيرة من القرآن. و قد قرّر أنّ إعجاز القرآن في نظمه و ما يتضمّنه هذا النظم من إحكام يؤلّف بين المعنىٰ في أصدق و أروع مظاهره، و اللفظ في أجمل و أدقّ هيآته[٥].

و ظلّت قضيّة النظم وصلتها بالإعجاز ـ بعد عبدالقاهر ـ بدون إضافة تُذكر أو تجديد ذي شأن حتّى العصر الحديث.

و في هذا السياق ألّف عدد من قدامى المؤلّفين كتباً و رسائل في نظم القرآن، و قد احتفظت المصادر بأسماء عدد منها و بإشارات الىٰ مضامين بعضها. و لعلّ أبرزها كتاب نظم القرآن للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، أشار اليه في كتابه (الحيوان) بقوله:

---

(١) إعجاز القرآن ١١٢.
(٢) إعجاز القرآن ٣٧.
(٣) التمهيد ١٥١.
(٤) المغني ١٦ / ١٩٧.
(٥) ينظر دلائل الإعجاز، فقد وضعه المؤلّف كلّه في بيان قضية النظم.

«كما عِبتَ كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن و غريب تأليفه و بديع تركيبه»[1]. و نصّ علىٰ هذا الكتاب من القدماء الخيّاط المعتزليّ[2]. و ألّف محمّد بن يزيد الواسطيّ (ت ٣٠٦هـ) كتاباً في أنّ «إعجاز القرآن في نظمه و تأليفه»[3]. و كتب من بعده الحسن بن عليّ بن نصر الطوسيّ (ت ٣٠٨هـ) كتاب نظم القرآن[4]. ثمّ ألّف أبو عليّ الحسن بن يحيى بن نصر الجرجانيّ (توفّي أوائل القرن الرابع الهجريّ) كتاب نظم القرآن في مجلّدين[5]، و قد نقده مِن بعده و اختار منه مكيّ بن أبي طالب القيسيّ المغربيّ (ت ٤٢٧هـ) في كتابه (انتخاب كتاب الجرجانيّ في نظم القرآن و إصلاح غلطه)[6].

و ممّن كتبوا في نظم القرآن كذلك: عبدالله بن أبي داوود السجستانيّ (ت ٣١٦هـ)[7]، و أبو زيد أحمد بن سليمان البلخيّ (ت ٣٢٢هـ)[8]، ثمّ أحمد بن عليّ بن الإخشيد أو الإخشاد (ت ٣٢٦هـ)[9].

❊ ❊ ❊

و إلىٰ جوار سيادة فكرة النظم و استمرارها الطويل بوصفها مكمن الإعجاز في التعبير القرآنيّ، كان ثمّة فكرة أخرىٰ في تفسير الإعجاز، لكنّها أقلّ شيوعاً و أدنىٰ حظّاً في القبول من لدن المعنيّين بشأن القرآن عامّة و شأن البيان القرآنيّ خاصة، هي فكرة «الصَّرفة». و يراد بالصرفة في هذا السياق أنّ الله تعالىٰ أراد أن يثبت أنّ

---

(١) الحيوان ١ / ٩.
(٢) الانتصار ٢٥، ١١١.
(٣) الفهرست ٢٢٠.
(٤) طبقات المفسّرين للداووديّ ١ / ١٣٨.
(٥) تاريخ جرجان ١٨٦.
(٦) إنباه الرواة ٣ / ٣١٦.
(٧) تاريخ بغداد ٩ / ٤٦٤.
(٨) البصائر و الذخائر للتوحيديّ ٢ / ٣٧٩.
(٩) الفهرست ٤١.

القرآن مُنزَل من عنده و ليس من اصطناع البشر، فصدّ العربَ عن معارضته و دفعهم عن مجاراته، أي أنّه منعهم منعاً قهريّاً أن يأتوا بمثل القرآن، و صرفهم عنه صرفاً مقصوداً يدركون معه أنّهم مُعجَزون أمامه، على الرغم من وفرة قدراتهم البيانيّة و براعتهم في القول.

و الواقع أنّ هذه الفكرة قد نشأت ـ أوّل ما نشأت ـ في بيئة المتكلّمين منذ أواخر القرن الثاني و أوائل القرن الثالث، ذلك أنّ مسألة إعجاز القرآن كانت قضيّة من القضايا الاعتقاديّة المتّصلة بالنبوّة، و قد استأثرت بالجدل و النقاش، و هي ممّا يقع في صلب موضوع علم الكلام. و كان المعتزلة ـ و هم من أبرز من عُني بالنظر العقليّ في مسائل الاعتقاد ـ هم الذين قد نبتت في بيئتهم فكرة الصرفة، إلىٰ جوار ما شاع بينهم و بين غيرهم من القول بالفصاحة و النظم القرآنيّ المعجز.

و يبدو أنّ إبراهيم بن سيّار النظّام (ت ٢٢٤هـ) كبير معتزلة عصره كان أقدم مَن ذهب هذا المذهب في قوله: «إنّ العرب لم يعجزوا عن معارضة القرآن، و إنّما صرفهم الله عن تلك المعارضة». لكنّ النظّام لم يعالج هذه الفكرة بشيء من البيان و التفصيل، أو إنّه قال بها «من غير تحقيق لكيفيّتها و كلام في نصرتها» كما يقول الشريف المرتضىٰ[1].

و قد استهوت فكرة الصرفة عدداً من تلامذة النظّام، كان أبرزهم الجاحظ الذي مال اليها على الرغم من إيمانه بتفوّق النظم القرآنيّ الذي ألّف فيه كتاباً مستقلاً. لكنّ الجاحظ، شأنه شأن سلفه النظّام، لم يكشف عن أبعاد لهذا المذهب و لم يبسط القول فيه، فلم يُفرِد له باباً في كتاب، و إنّما ذكره ذكراً عابراً في معرض حديث له

---

(١) الذخيرة في علم الكلام ٣٧٨.

عن مُلك النبيّ سليمان (ع)، حين قال بعد ما أورد من شواهد: «و مثل ذلك ما رفع من أوهام العرب و صرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه، و لذلك لم نجد أحداً طمع فيه، و لو طمع فيه لتكلّفه...»[1]. وهذا الصرف ـ في رؤية الجاحظ ـ نظير ما وقع لبني إسرائيل في التِّيه «فقد كانوا أمّة من الأمم يكسعون أربعين عاماً في مقدار فراسخ يسيرة و لا يهتدون الى المخرج. و ما كانت بلاد التِّيه إلّا من مَلاعبهم و مُتنزّهاتهم... و لكنّ الله صرف أوهامهم و رفع القصد من صدورهم»[2].

و يُفهم من كلام الجاحظ أنّ الصَّرفة عنده إنما كانت لحماية القرآن من معارضة الذين يتكلّفون هذه المعارضة ليموّهوا علىٰ أغرار الناس و من لا علم لهم بمزايا نظم القرآن، و إلّا فإنّ القرآن كان و ما يزال معجزاً في هذا النظم.

❊ ❊ ❊

و مهما يكن فإنّ أبرز مَن استوفَى الكلام عن الصَّرفة من بين المتكلّمين المعنيّين بأمر القرآن هو المتكلّم الإماميّ الفقيه الأديب الشريف المرتضىٰ (ت٤٣٦هـ)؛ فإنّه كان يذهب الى القول بالصرفة و تحدّث عن خطوط الموضوع الكبرىٰ في كتابه (الذخيرة في علم الكلام). ثمّ لمّا وجد أنّ المسألة تقتضي المزيد من البسط و الإيضاح و ردّ الاعتراضات، أراد أن يجلّي الصورة التي يراها لهذا اللون من الإعجاز، فألّف كتاباً خاصّاً في الموضوع أسماه (المُوضِح عن جهة إعجاز القرآن أو الصَّرفة).

قصد المرتضىٰ في كتابه (المُوضح) إلىٰ بيان أنّ الله تعالىٰ تحدّى العرب بالقرآن

---

(١) الحيوان ٤ / ٣١.

(٢) نفسه.

فأوقعهم، من هذه الناحية، بالعجز عن تعاطي محاكاته بأن سلبهم ما فيهم من قدرة علميّة و نفسيّة و بيانيّة علىٰ هذه المحاكاة، كلّما قصدوا إليها و همّوا بها، فانصرفوا عن محاولة الإتيان بمثل القرآن ـ و هو موضوع التحدّي ـ فيما عُبِّر عنه بالصَّرفة.. التي هي، في هذه الرؤية، «جهة إعجاز القرآن». أي أنّ إعجاز القرآن هو هذا الذي كان يجده العرب في أنفسهم من العجز العجيب عن مجاراتـه، و كأنّـهم مسلوبو الحول و القوّة، فاقدو القدرة، عاجزون تمام العجز عن التصرّف حياله. و كان هذا كافياً ليؤمنوا أنّ القرآن صادر من مصدر إلهيّ.

إن هذه الرؤية احتاجت من الشريف المرتضىٰ إلىٰ بيان مفصّل فيه من الردّ على المعترضين و من الدفاع شيء كثير. و بعبارة أخرىٰ: إنّه استطاع أن يجلّي الفكرة من خلال ما عكف عليه في كتابه من ردود و نقض و من إزالة الإبهام و كشف الغموض. و هو بعمله هذا تمكّن من تقديم وضوح كافٍ لنظرية الصَّرفة لم يسبقه اليه أحد من سابقيه، و لم يَزد عليه أحد من لاحقيه.

***

إنّ محاولة الشريف المرتضى التفصيليّة هذه تُعدّ محاولة جريئة كانت تخالف التّيار السائد و تعاكس مجراه، مع أنّه كان يعتقد بمزايا النظم و الفصاحة القرآنـيّة العالية. و قد ظلّت خطوته هذه تثير التحفّظ إزاءها و الصمت حيالها في أقلّ تقدير. و يبدو أنّ نفراً من علماء الإماميّة ممّن تأثّروا بالمرتضىٰ قد مالوا الى الصَّرفة في شطر من حياتهم العلميّة، ثمّ ما لبثوا أن هجروها و ابتعدوا عنها؛ لأنّها ربّما كانت تحمل تعريضاً ـ و لو يسيراً و عابراً ـ بإعجاز القرآن الداخليّ القائم علىٰ تفرّد مضمونه و تفرّد أسلوبه البيانيّ. في حين تعني الصَّرفة أنّ إعجاز القرآن مصدره إرادةٌ من خارجه هي التي تحوطه بالعناية و تقطع السبيل على المعارضين.

و مهما يكن فإنّ كتاب (المُوضِح عن جهة إعجاز القرآن أو الصَّرفة) هو عمل علميّ كبير دالّ علىٰ تخصّص مؤلّفه و علىٰ قدرته الكلاميّة و طاقته الأدبيّة الرفيعة و إلمامه الواسع باللغة و الأدب و التاريخ و أساليب البيان.

و الكتاب يهيّئ لدراسي الإعجاز و مؤرّخي علوم القرآن فرصة جديدة للتعرّف علىٰ أثر مهم طالما أُنسي و أُغفل، إذ كان في عداد المفقود من مؤلّفات الشريف المرتضىٰ. و لم يكن أحد يعلم أنّه كان قابعاً أجيالاً طويلة في زاوية من زوايا خزانة مخطوطات المكتبة المركزيّة في الآستانة الرضويّة في مدينة مشهد المقدّسة، حتّىٰ قيّض الله تعالىٰ مَن وجده و لم يمنعه السَّقطُ الذي كان في أوّله من التعرّف عليه.

ثمّ كان هذا المسعىٰ لإخراج الكتاب لأوّل مرّة علىٰ يد الفاضل المحقّق سماحة حجّة الإسلام و المسلمين الشيخ محمّد رضا الأنصاريّ القمّيّ الذي بذل جهداً علميّاً مشكوراً في القيام بأعباء التحقيق و التقديم للكتاب. و تولّىٰ مجمع البحوث الإسلاميّة في الآستانة الرّضويّة المقدّسة إخراجه ليطّلع عليه المعنيّون بالقرآن و بدراسات الإعجاز فيه، و ليكون ذلك مقدّمة لإنتاج دراسات حوله تناسب موقعه في تاريخ حركة التأليف في إعجاز القرآن الكريم.

مجمع البحوث الإسلاميّة
قسم الكلام و الفلسفة
عليّ البصريّ

مراجع المقدّمة

١ ـ إعجاز القرآن: أبوبكر محمّد بن الطيّب الباقلانيّ (ت ٤٠٣هـ). تحقيق أحمد صقر، دار المعارف بمصر ١٩٦٤.

٢ ـ الإمتاع و المؤانسة: أبو حيّان التوحيديّ (ت ٤١٤هـ). تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين، القاهرة ١٩٥٢.

٣ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة: عليّ بن يوسف القفطيّ (ت ٦٤٦هـ). تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، مصر ١٩٥٥.

٤ ـ الانتصار للقرآن: الباقلانيّ (مخطوط مكتبة با يزيد في استانبول).

٥ ـ البصائر و الذخائر: أبو حيّان التوحيديّ. تحقيق إبراهيم الكيلانيّ، دمشق.

٦ ـ البلاغة: محمّد بن يزيد المبرّد. تحقيق رمضان عبدالتوّاب، القاهرة ١٩٦٥.

٧ ـ بيان إعجاز القرآن: حمد بن محمّد الخطّابيّ (ت ٣٨٨هـ). تحقيق محمّد خلف‌الله أحمد و محمّد زغلول سلّام (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

٨ ـ تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف السهميّ (ت ٤٢٧هـ). حيدرآباد الدكن ١٩٦٧.

٩ ـ تأويل مشكل القرآن: عبدالله بن قتيبة. تحقيق أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣.

١٠ ـ التمهيد: أبوبكر الباقّلانيّ (ت ٤٠٣هـ). تحقيق مكارثي، بيروت ١٩٥٧.

١١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمّد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، القاهرة ١٣٢٣هـ.

١٢ ـ الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٣٨.

١٣ ـ دلائل الأعجاز: عبدالقاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ). تحقيق محمود محمّد شاكر، القاهرة.

١٤ ـ الذخيرة في علم الكلام: الشريف المرتضىٰ علم الهدى عليّ بن الحسين الموسويّ (ت ٤٣٦هـ).تحقيق السيد أحمد الحسينيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ ١٤١١هـ.

١٥ ـ الرسالة العذراء: إبراهيم بن المدبّر (ت ٢٧٩هـ). تحقيق زكي مبارك، مصر.

١٦ ـ الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلويّ. القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.

١٧ ـ طبقات المفسّرين: محمّد بن عليّ الداووديّ (ت ٩٤٥هـ). تحقيق علي محمّد عمر، القاهرة ١٩٧٥.

١٨ ـ الفهرست: محمّد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ). تحقيق رضا تجدّد، طهران ١٩٧١.

١٩ ـ الكتاب: عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ). بولاق ١٣١٦-١٣١٧هـ.

٢٠ ـ كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكريّ. تحقيق: محمّد

أبو الفضل ابراهيم و البجاويّ، مصر ١٩٧١.

٢١ ـ **المغني في أبواب التوحيد و العدل**: القاضي عبدالجبّار (ت ٤١٥هـ). تحقيق أمين الخوليّ، القاهرة ١٩٦٠.

٢٢ ـ **النكت في إعجاز القرآن**: عليّ بن عيسى الرمّانيّ (ت ٣٨٦هـ). تحقيق محمّد خلف الله أحمد و محمّد زغلول سلّام (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

المُوضِح عن جهة

إعجاز القرآن

و هو الكتاب المعروف

بـ«الصَّرْفة»

تأليف

الشريف المرتضىٰ

أبي القاسم، عليّ بن الحسين بن موسى الموسويّ البغداديّ

(٣٥٥-٤٣٦ ﻫ)

تحقيق

محمّد رضا الأنصاريّ القُمّيّ